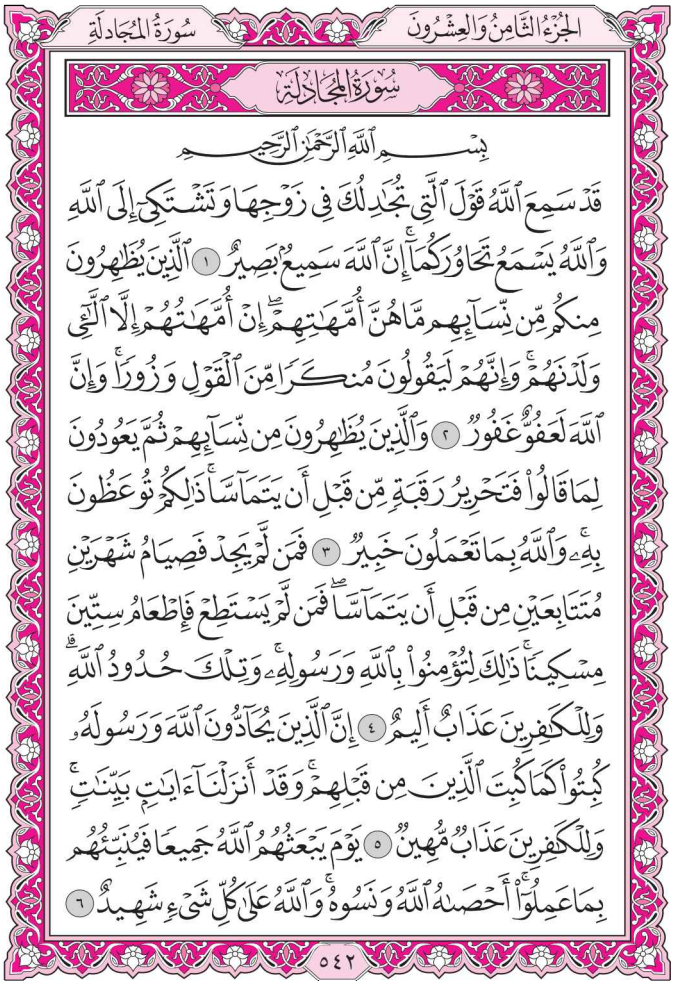

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ٦

سورة المجادلة

سورة المجادلة مدنيّة وآياتها ثنتان وعشرون آية.

[١] بدأت السورة بإخبار النبي ﷺ أن الله جل وعلا قد سمع قول هذه المرأة التي تناقشه في شأن زوجها، وتتضرع إلىٰ الله، وتذكر ما حل بها من مكروه ومصيبة، وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة جاءت إلىٰ النبي ﷺ تراجعه وتقول له: إن زوجها أوس بن الصامت الأنصاري ظاهر منها، وذكرت للنبي أن زوجها استمتع بها وأنجبت منه أولادًا فلما كبر سنها ظاهر منها، واعلم يانبي الله أن الله سبحانه يسمع ما تتراجعان به، أي: يسمع ما تقول هي، وما تقول أنت جوابًا لها؛ إن الله سميع لجميع الأصوات، بصير بكل شيء، ولهذا سمع سبحانه المحاورة وأنزل حكم الظهار.

والظهار: هو أن يقول الزوج لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي أو أختي، أي: يحرمها علىٰ نفسه، وكان هذا معمولًا به في الجاهلية؛ فيعلقها كيف شاء إلىٰ ما يشاء، وقد جاء الإسلام بتحريم ذلك. ولهذا من فعل ذلك يُعطىٰ مهلة أربعة أشهر، فإن عاد لرشده وكَفَّر وجامعها بقيت في ذمته، أما إن مضت الأربعة أشهر ولم يُكَفِّر أو يجامع فيحكم القاضي بطلاقها.

[٢] ثم ذم جل وعلا الظهار، وأخبر أن أولئك الذين يظاهرون من نسائهم فيقول أحدهم لامرأته: أنت علي كظهر أمي أو أختي، مخطئون فيما قالوا، فليست زوجاتهم بأمهاتهم، وإنما أمهاتهم هن اللائي ولدنهم، ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المظاهرون ليقولون قولًا كاذبًا فظيعًا؛ لأنهم شبهوا الزوجات بالأمهات، ومعروف أن العلاقة مع الأم تختلف اختلافًا كليًّا بالعلاقة مع الزوجة، وإن الله جل في علاه كثير العفو والمغفرة لمن تاب وأناب مما وقع فيه من المخالفات.

[٣] واعلموا أيها المؤمنون أن الذي يقع منه الظهار، ثم يرجع عما قال نادمًا، ويريد أن يجامع امرأته، فعليه الكفَّارةُ أولًا، وهي: عتق رقبة مؤمنة من قبل أن يمس امرأته بالجماع، وهذا الحكم تؤمرون به علىٰ سبيل الوجوب، والله بما تعملون خبيرٌ، فلا يخفىٰ عليه شيء من نياتكم وأعمالكم، وسيجازيكم عليها. فمن لم يجد رقبةً يعتقها، أو لم يجد ثمنها؛ فكفارته: صيام شهرين متتابعين من قبل أن يمس زوجته بجماع.

[٤] ثم أخبر سبحانه أن من لم يستطع صيام الشهرين، ولم يقدر علىٰ ذلك لعذرٍ شرعي، فكفارة ظهاره: إطعام ستين مسكينًا من قوت بلده طعامًا يُشبعهم، وذلك قبل أن يمس زوجته بجماع، واعلموا أن ذلك الحكم الذي ألزمكم الله به لتؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، وتطيعوا أمره، وتجتنبوا نهيه، واعلموا أيضًا أن تلك الأحكام المذكورة حدود الله لا يحل لأحدٍ أن يتعدّاها، وللكافرين بالله ورسوله ﷺ، عذابٌ أليمٌ موجع.

[٥] واعلموا أيها الناس أن الذين يبغضون الله ورسوله ﷺ ويخالفون أمرهما، سيلحقهم الخزي والذل كما لحق بالأمم التي كفرت وعاندت رسلها من قبلهم، وقد أنزلنا عليكم آيات واضحات الدلالة والحجة، وللكافرين الذين كفروا بالله ورسله وجحدوا تلك الآيات عذاب مذل أليم جزاءَ كبريائهم وكفرهم. وهكذا من عاند أولياء الله وعاداهم فهو كمن شاق الله ورسوله ﷺ؛ فإن الله يصرعه ويخزيه ويكسره؛ لأنه إنما عاداهم لحمل رسالة ربهم.

[٦] ثم بين سبحانه أن لهؤلاء المعاندين يومًا سوف يحييهم الله فيه جميعًا ويبعثهم من قبورهم، ثم يخبرهم بما كسبت أيديهم، وليعلموا أن الله حفظ ذلك في صحائف أعمالهم، بينما هم نسوا تلك الجرائم لاعتقادهم أنه ليس هناك حساب ولا جزاء، وهو سبحانه مطلع وناظر لا يغيب عنه شيء، ولا تخفىٰ عليه خافية.

وقد كتب الملائكة ذلك في صحائف أعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

[٧] ألم تعلم ياعبد الله أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وهذا تأكيد منه سبحانه بإحاطة علمه بكل شيء؛ ثم أخبر سبحانه أنه ما يتناجىٰ ثلاثة إلا وهو معهم، ويعلم ما يقولون وما يدبرون، ولا خمسة إلا وهو سادسهم، يعلم ما به يتناجون، ولا نجوىٰ أقل من هذه الأعداد ولا أكثر منها إلا وهو عليم بها في أي مكان كانوا؛ فمهما تستروا وتخافتوا فإنهم تحت رؤيته وسمعه، ثم يخبرهم يوم القيامة بما عملوا من خير أو شر؛ توبيخًا لهم وتبكيتًا، أو تكريمًا إن كانت المناجاة في خير، وأنه لا مفر منه إلا إليه، ثم يجازيهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، إنه سبحانه بكل شيء عليم، لا يخفىٰ عليه شيء كائنًا ما كان.

[٨] يخبر جل وعلا عن المنافقين واليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم الله عن النجوىٰ لما فيها من إيهام المشاهد أن فيها تخطيطًا لارتكاب إثم أو سوء ، ثم رجعوا إلىٰ ما نهوا عنه، وكانوا يتحدثون فيما بينهم بما هو إثم في نفسه، وتعدّ علىٰ المؤمنين، وتواص بمخالفة الرسول ﷺ، ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين إذا جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ حيَّوْهُ بتحية لم يُحَيِّهِ الله بها؛ وهي قولهم: السَّام عليك، أي: الموت لك، يريدون ظاهرًا السلام وباطنًا الموت، ويحدّثون أنفسهم أنهم يخافون أن يعذبهم الله بقولهم لأنه يعلم ما أسروا، فردّ الله عليهم: إنه يكفيكم عذابًا أن ستدخلوا نار جهنم وَتُصْلَوْا بحرِّها؛ فبئست جهنم مرجعًا ومستقرًا لكم.

[٩] ثم أرشد جل وعلا المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهم أن لا يتناجوا بما فيه إثم وعدوان ومعصية لرسول الله ﷺ، كما يفعل اليهود والمنافقون، بل عليكم أن تتناجوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، واتقوا الله فيما تأتون وما تذرون، فإليه تحشرون فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، ثم يجازيكم عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

[١٠] واعلموا أيها المؤمنون أنما التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول يكون بتغرير الشيطان وتزيينه وتسويله؛ لأجل أن يوقع الحزن في قلوب الذين آمنوا، وهذا التناجي لن يضر المؤمنين شيئًا؛ لأن الله تعالىٰ وعدهم الكفاية، والنصر علىٰ الأعداء، وعلىٰ الله فليعتمد المؤمنون، وليثقوا بوعده، وليفوضوا أمرهم إليه.

[١١] يامن آمنتم بالله ورسوله ﷺ إذا قيل لكم: توسعوا في مجالسكم فأوسعوا يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا قيل لكم أيضًا: انهضوا وقوموا من مجلسكم لسبب من الأسباب؛ فعليكم أن تبادروا بفعل الأمر، وتستجيبوا لتحقيق المصلحة العامة؛ واعلموا أن الله يرفع الذين آمنوا به ووحدوه، وصدقوا رسوله ﷺ واتبعوه، درجات عاليات، ويزيد الله رفعةً في الدرجات من جمع العلم مع الإيمان، فيرفعهم الله درجات عاليات في الدنيا والآخرة، والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفىٰ عليه منها شيء، وسيحاسبكم بها، ويجازيكم عليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ
قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

[١٢] يأمر جل علا الصحابة الكرام إذا أرادوا أن يكلموا الرسول ﷺ في أمر من أمورهم سرًّا فعليهم أن يقدموا قبل ذلك صدقة يتصدقوا بها علىٰ الفقراء والمساكين، فإن ذلك خير لهم لما فيه من طاعة لله، ومن تزكية للنفوس وتطهيرها، فإن لم تجدوا الصدقة وعجزتم عن ذلك فإن الله رخص لكم في المناجاة بدون أن تقدموا صدقة، فإنه سبحانه غفور لعبادة التائبين، رحيم بهم.

وقد شرعت الصدقة هنا بعد أن أكثر الصحابة الأسئلة في أمور لم تقع فَقُرِّرَتِ الصدقة لكي تكون الأسئلة عما يجب علىٰ المؤمن.

[١٣] هل خفتم أيها الصحابة الكرام العيلة والفقر إذا قدمتم بين يدي نجواكم صدقة؛ فحيث لم تفعلوا ما أمركم الله به، وتاب عليكم؛ حيث رخص لكم في المناجاة من غير تقديم صدقة؛ فتداركوا ذلك بالمحافظة علىٰ إقامة الصلاة وإعطاء زكاة أموالكم، وطاعة الله ورسوله ﷺ، والله فيما تؤمرون به وتنهون عنه لا يخفىٰ عليه شيء من ذلك، وسوف يجازيكم عليه.

[١٤] ألم تر يانبي الله إلىٰ هؤلاء المنافقين الذين يتولون الكافرين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم ممن غضب الله عليهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، فاعلم أن هؤلاء المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون بالله كاذبين أنهم مسلمون، وأنك رسول الله.

[١٥] ثم بين سبحانه وتعالىٰ أن جزاء هؤلاء الفجرة الكذبة عذابٌ في نهاية الشدة والألم، وهو الدرك الأسفل في جهنم، إنهم ساء ما كانوا يعملون؛ حيث عملوا بما يسخط الله ويوجب عليهم العقوبة واللعنة.

[١٦] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء المنافقين اتخذوا أيمانهم وكثرة حلفهم ترسًا ووقايةً يتوقونَ ويحتمون بها من تكذيبهم، فصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ، وصدوا عن سبيل الله وجهاد الكفار واليهود بتثبيطهم وتخذيلهم، فأولئك لهم عذابٌ يذلهم ويهينهم، ويفضحهم ويخزيهم.

[١٧] بين جل وعلا أن أموال وأولاد المنافقين التي يفتخرون بها لن تغني عنهم من عذاب الله شيئًا؛ بل إن أولئك المنافقين هم أهل النار؛ وإنهم خالدون فيها أبد الآبدين.

[١٨] واذكر يانبي الله يوم يبعث الله هؤلاء المنافقين جميعًا من قبورهم يوم القيامة للجزاء والحساب؛ فيحلفون له كما يحلفون لكم في الدنيا، بأنهم كانوا مؤمنين، معتقدين أن هذه الأيمان التي كانوا يتسترون بها في الدنيا سوف تنفعهم كما نفعتهم في الدنيا، حيث كفت أيدي المؤمنين عنهم، وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع علىٰ قلوبهم، ونسوا أن يوم القيامة تنكشف الحقائق وتفتضح الأمور والعياذ بالله من الخزي والعار؛ بل إن حلفهم سوف يزيدهم مقتًا؛ حيث يريهم الله أعمالهم السيئة المستنسخة أمام أعينهم، ثم بين سبحانه بأن هؤلاء المنافقين قد بلغوا حدًّا في الكذب لم يبلغنه أحد غيرهم.

[١٩] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المنافقين تملكهم الشيطان، وغلب عليهم، وأحاط بهم؛ فأنساهم ذكر الله وتوحيده والعمل بطاعته واجتناب نواهيه، فاعلم أن أولئك المنافقين جُند الشيطان وجماعته، ألا إنهم هم الخاسرون المغبونون في الدنيا والآخرة.

[٢٠] واعلموا أن الذين يخالفون أوامر الله ونواهيه، ويمتنعون عن أداء ما فرضه الله عليهم من الفرائض؛ فأولئك هم المحادون لله ولرسوله ﷺ؛ وهؤلاء من جملة الأذلين الأرذلين اصحاب البوار والهلاك من الأولين والآخرين.

[٢١] ثم أخبر جل وعلا أنه قضىٰ وقدَّر في سابق علمه أن يغلب هو ورسله وأتباعهم بالحجة والبرهان، وبالسيف والسنان، إن الله قوي قادرٌ علىٰ كل شيء، عزيزٌ غالبٌ لا يعجزه شيء سبحانه وتعالىٰ.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ
ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

[٢٢] ثم أثنىٰ جل وعلا علىٰ عبادة المؤمنين الصادقين بالبراءة من المنافقين والمشركين؛ فقال: اعلم يانبي الله أنه لا يمكن أن تجد قومًا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ حقًّا ويعملون بشرعه؛ يوالون ويحبون المشركين المعادين لله ورسوله ﷺ ويخالفون أمر الله، ولو كان هؤلاء المعادون هم من الأقارب؛ كالآباء الذين يجب طاعتهم، أو الأبناء الذين هم فلذات الأكباد، أو الإخوان المناصرون لهم، أو العشيرة التي يُعتمد عليها بعد الإخوان؛ فأولئك الذين لا يوالون أعداء الله هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان، وقواهم بنصره وتأييده، ومن فضل الله عليهم أنه يدخلهم في الآخرة بساتين فسيحة، تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبد الآبدين، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، فاعلم بأن أولئك الذين لا يوالون أعداء الله هم أنصار الله وجنده الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه، وهم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون آية. وسميت بسورة (الحشر) لأن بني النضير عاهدوا الرسول ﷺ عندما قدم المدينة أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، ولما طلب منهم الرسول ﷺ دفع دية القتيلين حسب المعاهدة تآمروا علىٰ إلقاء حجر عليه لقتله ﷺ؛ فأعلمه الله بمكرهم؛ ثم أُمِرَ ﷺ بحصارهم حتىٰ نزلوا علىٰ حكمه ﷺ فأجلاهم.

[١] افتتحت هذه السورة بالثناء علىٰ الله وبتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته وجلاله؛ فأخبر سبحانه بأن جميع من في السماوات والأرض ينزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته؛ وأنه العزيز الذي قهر كل شيء وغلبه، صاحب الحكمة البالغة، وهاتان الصفتان من مبررات التسبيح له جل وعلا.

وتسبيح المخلوقات يكون بلسان الحال ولسان المقال، وجمهور المحققين علىٰ هذا؛ وليس بمستغرب أن ينطق الحجر فقد قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم والترمذي: «**إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ**»[١]، وقد قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤].

[٢] يخبر جل وعلا أنه هو الذي أخرج الذين كفروا وهم يهود بني النضير من بيوتهم التي كانوا يسكنون بها حول المدينة، وكان هذا أول إخراج لهم من جزيرة العرب؛ حيث أخرجوا إلىٰ بلاد الشام، ولم يتوقع المسلمون أن بني النضير يمكن إخراجهم من ديارهم بهذه السهولة؛ لأن حصونهم منيعة، وأنهم أهل عدد وعدة، حتىٰ هم ظنوا أن حصونهم مانعتهم من بأس الله، ولكن قوة الله وقدرته لا يمنعها مانع ولا يقف أمامها شيء؛ فلذلك جاءهم بأس الله وقدرته من حيث لم يخطر لهم ببال، وبثّ في قلوبهم الهلع والخوف حين جاء رسول الله ﷺ وأصحابه إليهم، فلم يستطيعوا إلىٰ المقاومة سبيلًا، ولما أيقنوا بالجلاء جعلوا يخربون ما استطاعوا من بيوتهم من الداخل، والمسلمون يخربونها من الخارج؛ حسدًا وحقدًا، فاتعظوا ياأهل البصائر والعقول بما جرىٰ لهم، واعلموا أن الغدر والخيانة مضرته علىٰ مرتكبه.

وبهذه الخاتمة للآية بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ﴾، وبما شاكلها استدل الفقهاء بحجية القياس.

[٣] ثم أخبر جل وعلا أنه لولا هذا الجلاء الذي أصابهم وقدره عليهم؛ لنالهم عذاب الله في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب أليم مهين ليس أكبر منه عذاب، ولا يعلم قدره إلا الله جل في علاه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).